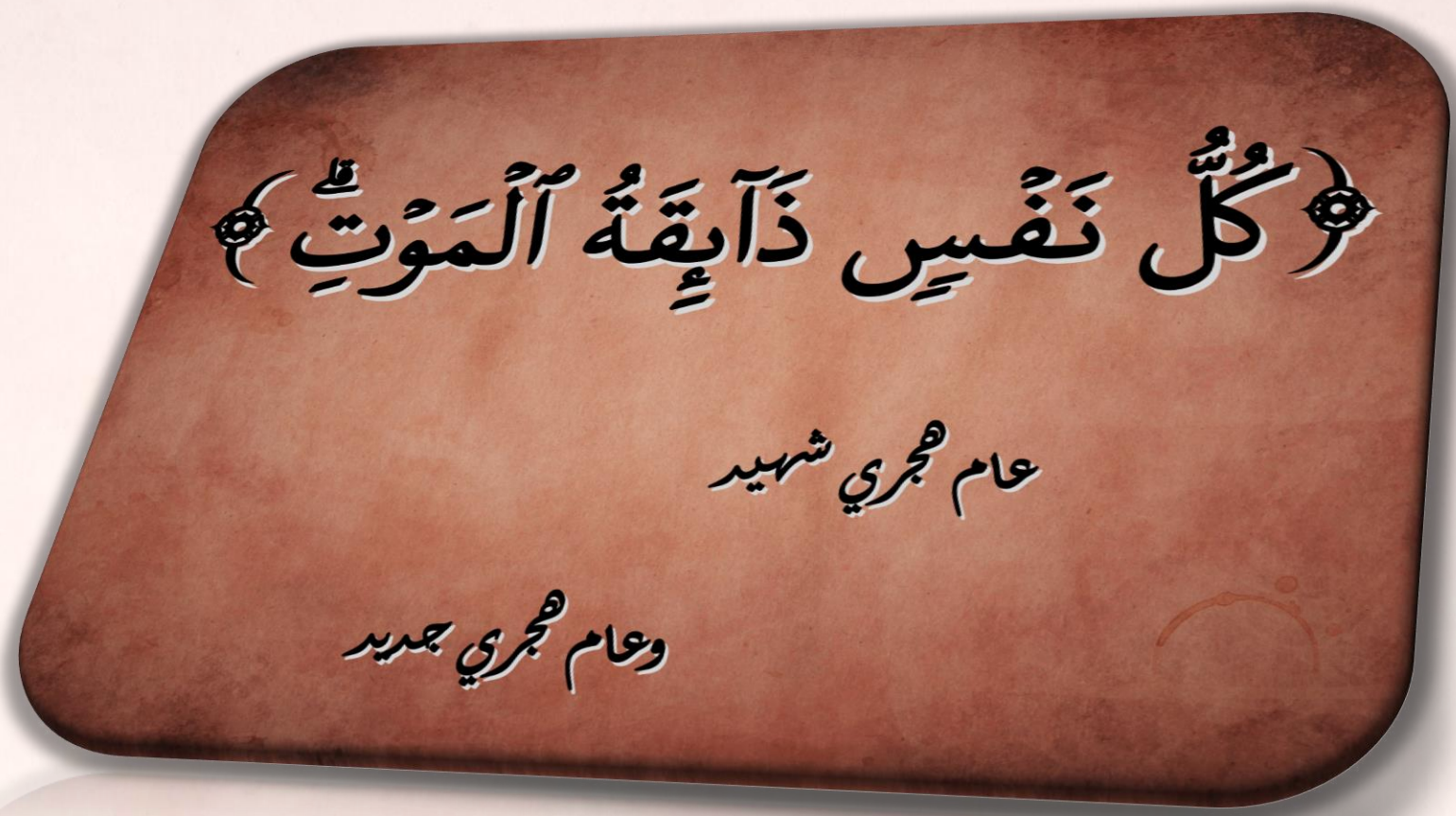

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢ المحرم ١٤٣٩ في الإمارات

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

اتقوا الله حق التقوى، فإن أجسادكم ضعيفة على النار لا تقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

عباد الله، إن الله ﷻ خلق الناس لحكمة عظيمة، فلم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم هملا، وإنما خلقهم وأحكَمَ خلقهم لحكمة عظيمة، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وجعل لذلك مكانا خلقه للإنسان، وجعل له أجلا ينقضي فيه، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦].

وجعل لذلك زمانا، وجعل له انقضاء، وكتب على الأرض ومَن فيها الفناء، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

وبيّن لكم ربكم مصيركم في الدنيا، ونبّهكم، فقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء:٣٥].

وأعلمَكم -عباد الله- أنكم تُبعثون وتُحاسبون، فتنتقلون من دار العمل إلى دار الجزاء، ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨﴾ [الزلزلة:١-٨].

وجعل لكم ربكم في دنياكم عبرًا تذكّركم، بها تتذكرون وتعتبرون، ومن تلك العبر: مرور الليالي والأيام، وانقضاء الأشهر والأعوام، ﴿أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ [فاطر:٣٧].

أو لم نعمّركم زمانًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾، والنذير هنا: هو الشيب عباد الله، فمنا من شاب فجاءه النذير في نفسه، ومنا من يرى الشيب في غيره، فجاءه ذلك النذير.

وإن ربنا -يا عباد الله- يقلّب لنا الليل والنهار، لنعتبر ويعتبر أولو الأبصار، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾ [النور:٤٤].

وفي مرور الأعوام على الإنسان حجة وبيان، يقول النبي ﷺ: «أعذرَ الله إلى امرئٍ أخّر أجلَه حتى بلغ الستين».

وإنّنا -يا عباد الله- ودّعنا عامًا هجريًا شهيدًا، واستقبلنا عامًا هجريًا جديدًا، وإنّ لنا في ذلك أكبر العبر، لِمَن تيقّظ وتفكّر، وانتبه وتدبّر.

أعوام مرّت بنا، طَوَتْنا ونَطويها، عامٌ انقضى من أعمارنا، قرّبنا إلى آخرتنا، قد عمِلنا فيه ما شئنا، وتركنا ما شئنا، ضحكنا وبكينا، ثم ذهب بحلوه ومره، لكن بقي منه -ورب الكعبة- ما أودعناه فيه، من أعمال مُحصاة علينا، من خير أو شر.

عباد الله! عباد الله! يقول الواحد منّا: بانقضاء العام زاد عمري سنة، وحقيقة الأمر أن بقاءه في الدنيا قد نقص سنة، فالعمر معدود، والأجل محدود، وما ذهب منه لا يعود، فالأعوام -عباد الله- إنما هي خطوات نمشيها إلى قبورنا، والله أعلم متى تنتهي الخطوات.

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يومٍ مضى يُدني من الأجلِ

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا ... فإنما الربح والخسران في العملِ

والأجل -يا عباد الله- إذا جاء ليس فيه إنظار ولا تأخير، ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون:١١].

عباد الله! عباد الله! معاشر الضعفاء! معاشر الفقراء إلى ربكم! إن مرور الليالي والأيام، والشهور والأعوام، يذكّركم باليقين الذي يتناساه بعضنا، يذكّركم بالموت، وقد كان رسولنا ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس! يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه».

وتَذَكُّرُنا الموتَ -يا عباد الله- إنما هو علامة خير فينا، ليس لتفسد علينا حياتنا، وليس لتشقى نفوسنا، وإنما لننتبه إلى آخرتنا، فنستعدّ لموتنا بما يُرضي ربنا، ونكون من أبناء الآخرة، قيل للنبي ﷺ: أيّ المؤمنين أكْيَس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس» .

وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «ارتحلت الدنية مُدبرة، وارتحلت الآخرة مُقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل».

عباد الله! عباد الله! إنا نرى سرعة ذهاب الأعوام، ونرى تغيّر أحوالنا، فالفطن منا من اغتنم أحوال قوّته بما يُرضي الله عز وجل عنه، يقول النبي ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هِرَمك، وصحتك قبل سُقمِك، وغناك قبل فَقرِك، وفراغك قبل شُغلِك، وحياتك قبل موتك».

عباد الله! عباد الله! إن كل عاقل منا عند نهاية العام يقول: ما أسرع الأيام! في العام الماضي كنّا نودع عامًا، ونستقبل عامًا، ونتحدث عن مرور الأيام وسرعتها، وها نحن اليوم نودّع عامًا ونستقبل عامًا، أتدركون -يا عباد الله- معنى هذا الأمر الجَلَل؟ معنى هذا: مرور عام كامل من أعوامنا، مرّ أمامنا

كأنه لحظات يسيرة، وهذا يذكّرنا بحقيقة الدنيا، فالدنيا كلها كأنها زرع يشتد ويقوى، ثم يكون حصيدًا، كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾ [الكهف:٤٥].

فالدنيا -يا عباد الله- سريعة غرّارة، متقلّبة كرّارة، ولذلك قال النبي ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل».

والناس في الدنيا -يا عباد الله- ما بين رابح وخاسر، فالرابح فيها من عرف لها قدرها، وأنها مزرعة للآخرة، وأن العاقبة إلى جنة أو نار، فجعل عمله في فِكاكه من النار، والفوز بالجنة دار الأبرار، ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران:١٨٥]، والخاسر -يا عباد الله- من اغتر بالدنيا، وركن إليها، وأنسته الآخرة، فكان له نصيب من قول ربنا ﷻ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾ [التكاثر:١-٢].

عباد الله! عباد الله! إن نبيكم ﷺ ما كان يخاف عليكم الفقر، ولا نقص الأرزاق، ولكن كان يخاف عليكم السعة في الدنيا، حتى توقعكم فيما يُهلككم، قال النبي ﷺ: «فوالله، ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا كما بُسِطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُلهيكم كما ألهتهم»، وفي رواية: «فتُهلِككم كما أهلكتهم».

وذلك -يا عباد الله- أن التنافس في الدنيا قد يفتح على الإنسان أبواب الحسد والظلم، قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه: «إذا فُتحت عليكم فارس والروم، أي قوم أنتم؟» فقال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أوْ غيرَ ذلك؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون».

وهذا ما نراه واقعًا بين كثير من الناس يا عباد الله، إذا بُسطت عليهم الدنيا يتنافسون فيها، ولربما تقاطع الأقارب بسببها، ووقعت بينهم العداوة والبغضاء.

عباد الله! عباد الله! لنقف مع أنفسنا وقفة، إن هذه الأعوام التي تمر بنا ونعدّها لن تذهب هدرًا، وسيأسلنا عنها ربنا ﷻ في يوم تذهل فيه ﴿كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا

وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]، في ذلك اليوم العظيم سنُسأل عن أعمارنا، يقول نبينا ﷺ: «لن تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».

فتفكروا عباد الله، وتدبروا في أحوالكم، وأحسنوا سيركم إلى موالكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وتأهّبوا للعرض الأكبر، ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨﴾ [الحاقة:١٨]، ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف:٤٩].

فاتقوا الله عباد الله، واجعلوا الدنيا خيرًا لكم وبركة، بالتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله، وتحقيق التوحيد والعمل الصالح.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

قد دخلتم في شهر الله المحرم، وإن شهر المحرم من الأشهر الحرم، التي قال الله ﷻ فيها: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة:٣٦].

الظلم -يا عباد الله- من أقبح القبائح، وأكبر الذنوب، حرّمه الله ﷻ في كل مكان، وفي كل زمان، وعلى كل أحد، فالظلم حرام بيننا، لكن حرمة الظلم وقبح الظلم تزداد في الأشهر الحرم، فالواجب على العبد أن يَحذَر أيّما حَذَر من أن يقع في الظلم في عمره، ويتأكد ذلك في مثل هذا الشهر يا عباد الله.

- يجب على المسلم أن يجتنب الظلم الأكبر، وهو أن يشرك بالله ﷻ.
- كما يجتنب البدع، فإن البدع من الظلم.
- كما يجتنب كبائر الذنوب، فإنها من الظلم.
- كما يحرص على أن ينزّه نفسه عن صغائر الذنوب.

- كما يحرص حرصًا شديدًا على ألا يظلم أحدًا من الناس، سواء كان مسلمًا أو كان كافرًا، ويتأكد الأمر في حق المسلم.

وإن هذا الشهر -يا عباد الله- من مواسم الخيرات، التي تُنال بها الجنات، وإن أمة محمد ﷺ موعودة بأن تكون نصف أهل الجنة، وذلك بطاعة رسول الله ﷺ، ولذلك يقول النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

فيستحب للمسلم -يا عباد الله- أن يكثر من الصيام في هذا الشهر، فقد قال النبي ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم».

فالصوم في هذا الشهر من أفضل نوافل الصيام، و«من صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا»، فيستحب للمسلم أن يكثر من الصيام في شهر الله المحرم.

والأفضل أن يفطر بعض الأيام، هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، فإن النبي ﷺ ما استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، فالأفضل للمسلم أن يصوم أكثر أيام شهر الله المحرم، وأن يفطر قليلًا من أيامه.

ويتأكد الصيام في يوم عاشوراء، الذي هو اليوم العاشر، الذي كان النبي ﷺ يتحرّى صيامه، وكان ﷺ يُخبر أنه يكفّر سنة، صامه النبي ﷺ في مكة، وعندما هاجر إلى المدينة، ووجد اليهود يصومونه، لأنه يومٌ نجّى الله فيه موسى وقومه، فصامه موسى، فهم يصومونه، فصامه النبي ﷺ وأمر بصيامه، لأنّا -معاشر المؤمنين- أحق بموسى عليه السلام من اليهود، صامه النبي ﷺ إلى أن مات، وفي آخر سنة صام فيها عاشوراء قال: «لإن عشت إلى قابل لأصومنّ التاسع»، أي مع العاشر، فصوموه عباد الله، واحرصوا على صيامه، لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمرنا بأمرٍ عظيم شريف، فبدأ بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها.

اللهمّ ارض عنا يا كريم، اللهمّ ارض عنا يا كريم، اللهمّ ارض عنا يا كريم.

اللهمّ إنا عباد من عبادك، ضعفاء قد أذنبنا وأكثرنا، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فأرحمنا واغفر لنا، وأمّنّا من عذابك يا رب العالمين، اللهمّ اغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولذرياتنا ولجيراننا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى، كما جمعتنا في هذا المكان المبارك، في هذه الصلاة المباركة، نسألك أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحدا، اللهمّ لا تحرم منا أحدا، اللهمّ لا تحرم منا أحدا.

اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا، اللهمّ إنا نعوذ بك من أن تغضب علينا.

اللهمّ اغفر لنا ذنوبنا، وأوسع لنا في دُورنا، وبارك لنا في أرزاقنا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، بارك في ولاة أمر المسلمين، ووفقهم لما تحب وترضى، واجعلهم رحمةً على رعيّتهم في جميع ديار المسلمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك أن توفق رئيس الدولة إلى ما تحب وترضى يا رب العالمين، اللهمّ قربه إلى الخير وقرب منه الأخيار يا رب العالمين، اللهمّ اجعل بطانته بطانة صالحة يا رب العالمين، اللهمّ وشُدَّ عضده بنائبه وولي عهده يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، اجعل هذا البلد مباركا، ووسّع على أهله بالخيرات يا رب العالمين، وزد أهله ألفةً وتمسّكًا يا رب العالمين.

اللهمّ من أراد هذا البلد بسوء ومَكَرَ لأهله اللهمّ فأشغله في نفسه واكفنا شرّه بما شئت يا رب العالمين.

إلهنا، ما علمته منا أو في ولاة أمرنا أو في بلدنا من خير فثبّتنا جميعًا عليه يا رب العالمين، وما علمته من سوء اللهمّ فاكشف لنا سوءه وارزقنا التوبة منه يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.